المنهجيـــة الإجراميـــة للعصابات الإرهابيـــــة" الاستراتيجيـــة و الإيديولوجيـــــا "

م.م سَجىٰ معّـد جاسـم حمـد
كلية الحكمـة الجامعة
saja.maad@hiuc.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الإرهاب، المنهجية الإجرامية، العصابات الإرهابية، التطرف، الأيديولوجيا، التجنيد، الاستراتيجية.

كيفية اقتباس البحث

حمـد , سَجـىٰ معّـد جاسـم , المنهجيـة الإجراميـة للعصابات الإرهابيـــة" الاستراتيجيـة و الإيديولوجيـــا ",مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، آذار ٢٠٢٦, المجلد:١٦ ,العدد:٣.

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مـع الآخـرين بشـرط نَسـب العمـل الأصـلي للمؤلـف، ودون القيـام بـأي تعـديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Criminal methodology for terrorist gangs " Strategy and Ideology"

A.T Saja Maad Jassim Hamad
saja.maad@hiuc.edu.iq
Al-Hikma University College

Keywords : Terrorism, Criminal Methodology, Terrorist Gangs, Extremism, Ideology, Recruitment, Strategy.

How To Cite This Article
Hamad , Saja Maad Jassim , Criminal methodology for terrorist gangs " Strategy and Ideology" ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, March 2026,Volume:16,Issue 3.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This research examines the criminal methodology employed by terrorist groups in building their operations and managing their internal structures, Contemporary terrorism is no longer a random act or one of isolated acts of violence, but rather a complex system based on a well-defined organizational structure, meticulous operational planning, diverse funding sources, and systematic recruitment mechanisms that rely on both local and transnational appeals.

The research highlights that these groups do not operate in a vacuum, but rather within turbulent social and political environments where they exploit institutional gaps, the absence of justice, and instability to expand their influence and consolidate their presence, Furthermore, the research demonstrates that ideology constitutes the active framework that grants criminal behavior a false legitimacy and contributes to the production of an extremist discourse capable of justifying violence and attracting members, especially given the terrorist organizations' use of the digital sphere and social media to disseminate their messages and amplify their presence beyond their geographical boundaries. The analysis reveals that

these organizations employ flexible strategies that allow them to adapt to security pressures and political shifts, modifying their organizational structure and operational plans as needed. The study concludes that understanding the criminal methodology—its structure, tools, and strategies—is a fundamental step in developing effective counterterrorism policies.

These policies should not be limited to traditional security measures but should also include intellectual and social approaches that target the root causes of the phenomenon, thereby enhancing the ability of institutions to confront terrorist organizations and limit their capacity for recruitment and expansion.

المُخلـــص

يتناول هذا البحث المنهجية الإجرامية التي تعتمدها العصابات الإرهابية في بناء نشاطها وإدارة منظومتها الداخلية، باعتبار أن الإرهاب المعاصر لم يعد فعلًا عشوائيًا أو مرتبطًا بعمليات عنف منفصلة، بل تحول إلى منظومة متشابكة تقوم على هيكلة تنظيمية محكمة، وتخطيط عملياتي دقيق، وتمويل متنوع المصادر، وآليات تجنيد ممنهجة تعتمد على الاستقطاب المحلي والعابر للحدود. ويُبرز البحث أن هذه العصابات لا تعمل في فراغ، بل تتحرك ضمن بيئات اجتماعية وسياسية مضطربة تستغل فيها الفجوات المؤسسية، وغياب العدالة، وانعدام الاستقرار، لتوسيع نفوذها وتثبيت وجودها، وكما يوضح البحث أن الأيديولوجيا تُشكّل الإطار الفاعل الذي يمنح السلوك الإجرامي شرعية زائفة، ويسهم في إنتاج خطاب متطرف قادر على تبرير العنف واستقطاب العناصر، خاصة مع توظيف التنظيمات الإرهابية للفضاء الرقمي ووسائل التواصل في نشر رسائلها وتضخيم حضورها خارج نطاقها الجغرافي.

يكشف التحليل أن هذه التنظيمات تعتمد استراتيجيات مرنة تسمح لها بإعادة التكيف مع الضغوط الأمنية والتحولات السياسية، وتعديل بنيتها التنظيمية وخططها العملياتية كلما تطلب الأمر ذلك, وتخلص الدراسة إلى أن فهم المنهجية الإجرامية من حيث هيكلها، أدواتها، واستراتيجياتها، يمثل خطوة أساسية لتطوير سياسات فعّالة في مكافحة الإرهاب، سياسات لا تقتصر على الإجراءات الأمنية التقليدية، بل تشمل المعالجة الفكرية والاجتماعية التي تستهدف جذور الظاهرة ومسبباتها، بما يعزز من قدرة المؤسسات على مواجهة التنظيمات الإرهابية والحد من قدرتها على التجنيد والتوسع.

المُقـدمـة

تُعد العصابات الإرهابية من أكثر الظواهر تعقيدًا وخطورة على استقرار الدول وأمن المجتمعات، نظرًا لقدرتها على التحول من مجرد مجموعات عنيفة إلى كيانات منظمة تعمل

ضمن منظومة متكاملة لها هياكل داخلية واضحة، وأطر فكرية مؤثرة، واستراتيجيات عملياتية مدروسة، حيثُ لم يعد الإرهاب في صورته الحديثة فعلًا عشوائيًا أو نتاجًا لسلوك فردي منحرف، بل أصبح مشروعًا منظَّمًا يستند إلى منهجية إجرامية دقيقة تسمح لهذه التنظيمات بأن تتوسع وتعيد إنتاج نفسها، وأن تتكيف مع مختلف البيئات الأمنية والسياسية التي تنشط فيها، ولقد أثبتت التجارب الدولية أن هذه العصابات تنشط في الغالب داخل البيئات الهشة والمجتمعات التي تعاني اختلالات اجتماعية واقتصادية وسياسية، حيث تستغل التنظيمات الإرهابية هذه الفجوات لتجنيد الأفراد، وتأمين التمويل، وفرض نفوذها على الأرض، وتُظهر الوقائع أن الجماعات الإرهابية تتحرك وفق خطط مترابطة تربط بين الموارد المتاحة وقدراتها العملياتية، وتتعامل بمرونة مع الظروف المحيطة بها، مما يمنحها القدرة على البقاء رغم الضغوط الأمنية والاستخباراتية المستمرة.

وفي قلب هذه المنهجية تقف **الأيديولوجيا المتطرفة** التي تمثل الإطار المرجعي الذي يُشرعن العنف ويوجه السلوك الإجرامي للعناصر المنتمية إلى التنظيم، فهي لا تُستخدم فقط لتبرير العمليات الإرهابية، بل تُسهم أيضًا في خلق هوية بديلة لأعضاء التنظيم، تجعلهم أكثر تصالحًا مع ممارسة العنف، وأكثر استعدادًا للانفصال عن محيطهم الاجتماعي الطبيعي، والانخراط في مشروع يتجاوز مصالحهم الفردية ليتماهى مع أهداف الجماعة، ولهذا تُعد الأيديولوجيا من أهم الأدوات التي تستند إليها العصابات في عمليات التجنيد المحلي والعابر للحدود، وفي تثبيت الولاء الداخلي وضمان استمرارية الهيكل التنظيمي، وإلى جانب الإطار الفكري، تتمتع هذه الجماعات بقدرة عالية على التكيف مع التحولات السياسية والأمنية، فعندما تشتد الإجراءات الأمنية، تلجأ إلى العمل في خلايا صغيرة أو تعتمد على أساليب "الذئاب المنفردة" لزيادة صعوبة تعقبها، وعندما تتراجع الضغوط أو تضعف الدولة، تستغل الفرصة لتوسيع نفوذها، وفرض سيطرتها على مناطق جديدة، وإدارة موارد اقتصادية واجتماعية تعزز حضورها. وفي كلتا الحالتين، يبقى التكامل بين الهيكلة التنظيمية، وأساليب التنفيذ، والخطاب الأيديولوجي عاملًا أساسيًا في قدرة التنظيمات على البقاء وإعادة التموقع بعد كل ضربة تتعرض لها.

إن تحليل هذه المنهجية يكشف عن ارتباط وثيق بين عناصرها الثلاثة: التنظيم، والاستراتيجية، والأيديولوجيا، فهي عناصر لا تعمل بطريقة منفصلة، بل تتكامل بشكل يعزز من صلابة الجماعة وقدرتها على تحقيق أهدافها بعيدة المدى، ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه المنهجية كخطوة ضرورية لبناء استراتيجيات شاملة في مواجهة الإرهاب، استراتيجيات لا تقوم

على البعد الأمني وحده، بل تمتد إلى معالجة الاختلالات الاجتماعية والفكرية التي تُعد البيئة الحقيقية لنمو الجماعات المتطرفة وانتشارها، إن فهم هذه الجوانب يشكل مدخلًا أساسيًا لصياغة سياسات فعّالة تستهدف جذور الظاهرة وليس مظاهرها فقط.

أولاً- مشكلة البحث

على الرغم من كثافة الجهود الدولية والإقليمية المبذولة في مكافحة الإرهاب، ما تزال العصابات الإرهابية قادرة على توسيع نطاق نشاطها، وإعادة إنتاج هياكلها، وتنفيذ عمليات ذات أثر كبير، ويعكس هذا الواقع امتلاك تلك التنظيمات منهجية إجرامية شديدة التعقيد، تتداخل فيها الأبعاد التنظيمية والمالية والعملياتية مع خطاب أيديولوجي متطرف يقوم بوظيفة التوجيه والتحشيد، ومن خلال تتبّع أنماط عمل هذه العصابات، يتضح أن الإشكالية الرئيسة تكمن في غياب فهم متكامل لطريقة اشتغال هذه المكونات بوصفها منظومة واحدة، وما يترتب على ذلك من صعوبة في تطوير سياسات فعّالة لاحتوائها، ومن هنا تتمثل مشكلة البحث في محاولة الكشف عن الكيفية التي تُسهم فيها هذه المنهجية المركبة في تعزيز قدرة العصابات الإرهابية على الاستمرار والمناورة وتحقيق أهدافها العنيفة، وبناءً عليه، يمكن صياغة السؤال الرئيس للبحث على النحو الآتي: " **كيف تُسهم المنهجية الإجرامية للعصابات الإرهابية – بما تتضمنه من تنظيم وتمويل وتجنيد واستراتيجية وأيديولوجيا – في تعزيز قدرتها على الاستمرار وتحقيق أهدافها؟** "

ثانيـاً- أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من عدة جوانب علمية وتطبيقية، من أبرزها:

١. سد فجوة معرفية تتعلق بفهم العلاقة بين البناء التنظيمي للأجهزة الإرهابية وخطابها الأيديولوجي واستراتيجياتها في العمل الإجرامي، من خلال تحليل شامل يجمع هذه العناصر ضمن إطار واحد.
٢. تقديم أساس معرفي لصنّاع القرار والأجهزة الأمنية يساعد في تطوير مقاربات أكثر فعالية في مواجهة التنظيمات المتطرفة عبر فهم آليات عملها الداخلية.
٣. تسليط الضوء على كيفية استغلال الجماعات الإرهابية للأزمات الاجتماعية والسياسية في عمليات التجنيد وبناء التأييد، بما يدعم برامج الوقاية والمواجهة المجتمعية.
٤. الكشف عن أساليب التكيف التي تعتمدها العصابات الإرهابية لمواجهة المتغيرات الأمنية والسياسية، بما يساهم في بناء أدوات استشرافية لتحليل التهديدات قبل وقوعها.

ثالثـاً- أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية، أبرزها:

١. تحليل بنية الهيكل التنظيمي للعصابات الإرهابية وتحديد أثرها في تشكيل منهجيتها الإجرامية.
٢. الكشف عن مصادر التمويل وآليات التنفيذ التي تعتمدها التنظيمات في إدارة عملياتها.
٣. دراسة أساليب التجنيد والاستقطاب، سواء المحلية أو العابرة للحدود.
٤. توضيح الاستراتيجية الإجرامية التي توجه نشاط هذه الجماعات في تحقيق أهدافها.
٥. بيان الدور المحوري للأيديولوجيا المتطرفة في صناعة التطرف وتوجيه السلوك الإرهابي.

رابعـاً– فرضية البحث

ينطلق البحث من الفرضية الرئيسة التالية:

"تستمد العصابات الإرهابية قدرتها على الاستمرار وتحقيق أهدافها من منهجية إجرامية متكاملة، تربط بين البناء التنظيمي، وطرق التمويل، وآليات التجنيد، والاستراتيجية العملياتية، والأيديولوجيا المتطرفة، بحيث تعمل هذه العناصر بشكل مترابط لتعزيز الأداء الإجرامي للتنظيم."

خامســاً– منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع المعلومات من المصادر العلمية والدراسات الأكاديمية والوثائق والتقارير الأمنية، ثم تحليلها بهدف الكشف عن طبيعة المنهجية الإجرامية للعصابات الإرهابية، وبيان العلاقة بين مكوناتها التنظيمية والفكرية والعملياتية.

سادســاً – هيكلية البحث

ينقسم البحث إلى ثلاث مطالب رئيسية، تتناول أبعاد الظاهرة من زوايا متعددة:

المَطلب الأول/ الأسس التنظيمية والمنهجية للعمل الإجرامي لدى العصابات الإرهابية

المَطلب الثاني/ الاستراتيجية الإجرامية للعصابات الإرهابية في تحقيق أهدافها

المَطلب الثالث/ الأيديولوجيا كإطار موجه للسلوك الإجرامي الإرهابي

يُختتم البحث بعرض أهم النتائج التي تم التوصل إليها، وتقديم مجموعة من المُقترحات العملية المتواضعة الموجهة لصُنّاع القرار والباحثين الأمنيين، والتي تركز على ضرورة تطوير مقاربات أمنية وفكرية متكاملة، تأخذ بعين الاعتبار التداخل البنيوي بين الاستراتيجية والأيديولوجيا لدىٰ العصابات الإرهابية، كأساس ضروري لفهم الظاهرة ومواجهتها بفعاليةٍ.

و الله وليُ التوفيق ...

المَطلب الأول

الأسس التنظيمية والمنهجية للعمل الإجرامي لدى العصابات الإرهابية

أولاً- الهيكل التنظيمي للعصابات الإرهابية

تقوم العصابات الإرهابية عادةً على بناء تنظيم داخلي معقّد يجمع بين الانضباط الهيكلي من جهة، والمرونة التشغيلية من جهة أخرى، ولا يمكن النظر إلى هذا الهيكل بوصفه نموذجًا ثابتًا أو موحّدًا، إذ يتأثر بطبيعة البيئة الأمنية والسياسية التي ينشط فيها التنظيم، وبمدى قدرته على الحركة، إضافة إلى حجم موارده البشرية والمالية. ففي المراحل الأولى للنشأة، تتخذ هذه التنظيمات غالبًا شكل مجموعات صغيرة ذات قيادة محدودة ومسؤوليات بسيطة، ثم تتسع تدريجيًا كلما ازدادت مواردها وتعددت عملياتها. (سرحان، ٢٠١٧: ١٢)

يقف في قمة الهرم القيادي "القائد" أو "الأمير"، وهو غالبًا شخصية تمتلك خبرة قتالية أو كاريزما فكرية وقدرة على التأثير النفسي في الأتباع، وتسانده هيئة أو مجلس قيادة يتولى إدارة الشؤون الداخلية للتنظيم، مثل المكتب الأمني، المكتب المالي، المكتب الإعلامي، ومكتب العمليات، وتمنح هذه المكاتب هامشًا من الاستقلال النسبي في تنفيذ مهامها، إلا أنها تبقى خاضعة للتوجيه العام الصادر عن القيادة العليا، حيثُ يؤدي هذا التوزيع الوظيفي إلى تعزيز قدرة التنظيم على الصمود؛ إذ إن ضرب أحد المكاتب أو تفكيك إحدى الوحدات لا يؤدي بالضرورة إلى انهيار البنية الكلية للتنظيم. (شهاب الدين، ٢٠١٨: ٢٥)

وتعتمد العديد من العصابات الإرهابية على أسلوب "الخلايا العنقودية"، وهي وحدات صغيرة تعمل بسرية شديدة، بحيث لا يعرف أفراد الخلية الواحدة إلا عددًا محدودًا من الأسماء داخل التنظيم، ويهدف هذا الأسلوب إلى تقليل احتمالات الاختراق الأمني وضمان استمرار النشاط حتى في حال سقوط بعض العناصر بقبضة السلطات، وفي بعض الحالات، تتخصص كل خلية في مهمة محددة مثل الاستطلاع، التنفيذ، الإعلام، أو التجنيد، الأمر الذي يساعد على تركيز الجهود وتقليل تداول المعلومات بين الخلايا، وإلى جانب الهيكل الرسمي، تستفيد العصابات الإرهابية من شبكات دعم غير رسمية تضم متعاطفين أو متعاونين لا يعدّون أعضاءً مباشرين في التنظيم، لكنهم يوفرون له أشكالًا متنوعة من المساعدة، كالإيواء، والدعم اللوجستي، ونقل المعلومات، والتمويل، وتشكّل هذه الشبكات عاملًا مهمًا في قدرة التنظيم على التخفي بين السكان واكتساب غطاء اجتماعي يعيق جهود الملاحقة. (أمين، ٢٠١٦: ٣٣)

ويُلاحظ أن تطوّر الهيكل التنظيمي يرتبط بقدرة هذه العصابات على التكيّف، فالتنظيم الذي يعمل في بيئة رخوة أمنيًا يميل إلى بناء هياكل واسعة قد تكون شبه علنية في بعض الأحيان، بينما تضطر التنظيمات التي تعمل تحت رقابة أمنية مشددة إلى تبنّي نماذج أكثر سرية

وتشتتًا، حيثُ تُشكّل هذه المرونة أحد أهم أسباب استمرار التنظيمات الإرهابية رغم الخسائر التي تتعرض لها على المستويين البشري والميداني. (عماد، ٢٠١٥: ٤١)

ثانيـاً- آليات التمويل والتنفيذ

تُعدّ مسألة التمويل الركيزة الأساسية التي تقوم عليها استمرارية أي تنظيم إرهابي، إذ لا يمكن لهذه العصابات أن تبني شبكاتها أو تطوّر أدواتها أو تستقطب عناصر جديدة من دون موارد مالية منتظمة ومتنوعة. ومع مرور الزمن، شكّلت التنظيمات الإرهابية منظومات تمويل متعددة الأطراف، تجمع بين مصادر شرعية تُستغل بطريقة غير قانونية، وأخرى إجرامية صريحة، وهو ما منحها قدرة واضحة على التكيف مع التحولات السياسية والأمنية. (كامل السيد، ٢٠١٩: ١٨)

وتبدأ عادةً مرحلة التمويل من مصادر بسيطة، مثل التبرعات الفردية التي يقدمها متعاطفون داخل البلاد أو من جاليات مقيمة في الخارج، ثم تتطور تدريجيًا لتشمل أنشطة أكثر تعقيدًا، وتشمل هذه الأنشطة الاتجار غير المشروع بالبشر، تهريب النفط والموارد الطبيعية، تهريب الآثار، الخطف مقابل الفدية، السطو على المصارف، والعمليات المسلحة التي تستهدف تحصيل الأموال بالقوة، وفي المناطق التي تبسط فيها بعض التنظيمات سيطرتها، تلجأ إلى فرض الإتاوات على السكان والشركات، أو فرض ضرائب تحت مسميات مختلفة، بما يشبه نموذج "اقتصاد الظل" الذي يُدار خارج رقابة الدولة. (العناني، ٢٠١٨: ٥٢)

ولا تقتصر مصادر التمويل على الداخل فقط؛ إذ تستفيد بعض التنظيمات من شبكات خارجية تقدّم الدعم لأسباب عقائدية أو سياسية، وغالبًا ما يتم هذا الدعم عبر طرق غير مباشرة، مثل جمعيات خيرية أو واجهات اقتصادية تعمل كقنوات تمويل مموّهة، مما يجعل عمليات التتبع المالي أكثر صعوبة وتعقيدًا بالنسبة للجهات الأمنية, وأما فيما يتعلق بالتنفيذ، فهو يمثل الجانب العملي للقدرات التنظيمية والمالية والبشرية التي يمتلكها التنظيم، وتقوم العصابات الإرهابية على اعتماد نماذج تخطيط دقيقة تبدأ بجمع المعلومات ورصد الهدف لفترة قد تطول أو تقصر بحسب نوع العملية. ثم تُنشأ فرق متخصصة للاستطلاع، وأخرى للتجهيز، وثالثة للتنفيذ، بحيث تُفصل المهام بشكل يقلل من تدفق المعلومات بين الأفراد، ويعزز السرية ويمنع الاختراق. وفي أغلب الأحيان، لا يطّلع المنفذون على الصورة الكاملة للعملية إلا في اللحظات الأخيرة، حفاظًا على سرية التخطيط. (المسيري، ٢٠١٠: ٦٤)

وتتباين أساليب التنفيذ بين التنظيمات تبعًا لإمكاناتها، فبعضها يعتمد على الوسائل التقليدية مثل إطلاق النار أو زرع العبوات الناسفة، بينما تتجه التنظيمات الأكثر تطورًا إلى

استخدام الطائرات المسيّرة، الهجمات الإلكترونية، والعمليات المركّبة التي تبدأ بتفجير لتنتهي بهجوم مسلّح أو عملية اقتحام، ويحرص الإرهابيون على تغيير أساليبهم بشكل مستمر، مستغلين عنصر المفاجأة ومرونة الحركة لتفادي الرصد الأمني وتحقيق أقصى قدر ممكن من التأثير الإعلامي والنفسي. (عارف، ٢٠١٧: ٢٩)

ثالثـاً- الاستقطاب المحلي والعالمي (التجنيد)

يشكّل التجنيد أحد الأعمدة الأساسية التي تقوم عليها التنظيمات الإرهابية، إذ تعتمد هذه العصابات في بقائها على قدرة مستمرة على تعويض خسائرها البشرية الناتجة عن المواجهات الأمنية أو حالات الانشقاق الداخلي، ولأجل ذلك، تتبنّى التنظيمات استراتيجيات متعددة للتجنيد، تقوم في جوهرها على استغلال الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية لدى بعض الفئات، ثم توظيفها في خدمة أهدافها. (غلاب، ٢٠٢٠: ٧٣)

فعلى المستوى المحلي، تتركز جهود التجنيد على الفئات الأكثر عرضة للتأثر بالخطابات المتطرفة، مثل الشباب العاطلين عن العمل، وذوي الدخل المحدود، والمهمّشين اجتماعيًا، والأفراد الذين يشعرون بالإحباط أو فقدان العدالة، وتعمل التنظيمات على تقديم نفسها بوصفها بديلًا يوفر القوة أو الانتقام أو استعادة الكرامة، وهو خطاب يجد صداه لدى بعض الفئات التي تعاني من انعدام الفرص أو فقدان الثقة بالمؤسسات الرسمية، كما تستغل هذه التنظيمات التوترات الطائفية والقبلية والعرقية، فتظهر في صورة المدافع عن جماعة معينة، الأمر الذي يسهّل عليها توسيع قاعدة عناصرها داخل مناطق النزاع. (الصلابي، ٢٠١٦: ١٤)

أما على المستوى العالمي، فقد أحدثت وسائل التواصل الاجتماعي تحولًا جذريًا في أساليب التجنيد، إذ تجاوزت التنظيمات الحدود التقليدية لتصل رسائلها إلى جمهور عالمي متنوع. وتستخدم في ذلك مواد إعلامية مصممة باحترافية عالية، تتضمن قصصًا ورموزًا وصورًا تقدم عناصر التنظيم في قالب بطولي لجذب الشباب الذين يعانون من أزمات هوية أو يعانون من مشكلات الاغتراب الاجتماعي، كما تعتمد على منصات اتصال مشفّرة تتيح إنشاء قنوات تواصل سرّية مع المستهدفين، مما يجعل عملية الرصد الأمني أكثر صعوبة، وأسهم هذا النمط من التجنيد العابر للحدود في تحويل التنظيمات الإرهابية إلى شبكات دولية قادرة على اجتذاب أفراد من بيئات وثقافات متعددة, ولا تتم عملية التجنيد بصورة مباشرة؛ بل تمر بعدة مراحل متدرجة، حيثُ تبدأ المرحلة الأولى بجذب الفرد من خلال رسائل عامة أو محتوى عاطفي يلامس مشكلاته، ثم تنتقل إلى بناء علاقة شخصية يشعر فيها المستهدف بالقبول والانتماء، تلي ذلك

مرحلة التوجيه الفكري التي يتم خلالها ترسيخ الأفكار المتطرفة وتبرير العنف، لتنتهي العملية بإقناع الفرد بجدوى الانضمام والانخراط الفعلي في نشاطات التنظيم. وفي أحيان كثيرة، يُستتبع الانضمام بتدريب أولي على استخدام السلاح أو المشاركة في الأنشطة الإعلامية، بحسب حاجة التنظيم وقدرات الفرد. (زغلول، ٢٠١٨: ١٠١)

رابعـاً – التكامل بين الهيكلة والتنفيذ في المنهجية

يُعدّ التكامل بين البنية التنظيمية وآليات التنفيذ من أبرز عوامل القوة التي تميز التنظيمات الإرهابية وتمكّنها من الاستمرار، فالتنظيم الذي يعجز عن المواءمة بين هيكله الداخلي وعملياته الميدانية غالبًا ما يتعرض للإنهيار في مراحل مبكرة، لافتقاره إلى القدرة على تنسيق الجهود واستثمار موارده البشرية والمادية بالشكل الأمثل. (خلف، ٢٠٢٠: ٨٨)

ويبرز هذا التكامل من خلال العلاقة الواضحة بين القيادة المركزية والخلايا العاملة على الأرض، فالقيادة تضطلع بوضع الاستراتيجية العامة للتنظيم، بينما تتولى الخلايا الميدانية تنفيذ هذه الاستراتيجية وفقًا للبيئة المحلية التي تعمل فيها، وتُمنح هذه الخلايا قدرًا من الاستقلالية التي تتيح لها اتخاذ قرارات سريعة تتناسب مع ظروف الميدان، مع بقاء ارتباطها بالأهداف الكبرى للتنظيم. ويجمع هذا النموذج بين المركزية في التوجيه واللامركزية في التنفيذ، مما يمنح التنظيم مرونة عالية وقدرة على التفاعل السريع مع المستجدات الأمنية. كما يتجلى التكامل في التنسيق المستمر بين وحدات التخطيط ووحدات التنفيذ، فالوحدة المكلّفة بجمع المعلومات تقوم برصد التحركات الأمنية وتحليل البيئة العملياتية، لتزويد وحدة العمليات بالمعطيات اللازمة لوضع خطة الهجوم أو الدفاع، وبعد التنفيذ، تتدخل الوحدة الإعلامية لاستثمار العملية في نطاق دعائي، بما يساهم في رفع الروح المعنوية للعناصر الداخلية، وإحداث أثر نفسي على الرأي العام المحلي والدولي، وهكذا يصبح النشاط العملياتي ليس مجرد فعل ميداني، بل جزءًا من منظومة متكاملة تشمل التخطيط والتنفيذ والترويج. (أمزيان، ٢٠١٩: ٥٥)

ويظهر التكامل كذلك في قدرة التنظيم على إعادة ترتيب صفوفه بعد الضربات الأمنية، فعندما تفقد العصابة مجموعة من عناصرها، يتم سريعًا إعادة توزيع المهام على أفراد آخرين، مستندين إلى تدريب داخلي يُكسب الأفراد مهارات متعددة، هذا الأسلوب القائم على "تعدد الأدوار" يساعد في الحفاظ على استمرارية العمل دون حدوث شلل تنظيمي شامل، ويمتد هذا الترابط إلى الجانب اللوجستي الذي يشكّل العمود الفقري لأي نشاط عملياتي، إذ تعتمد التنظيمات الإرهابية على شبكات معقّدة تتولى إيصال التمويل والأسلحة والمعلومات إلى الخلايا المنفذة عبر طرق غير مباشرة، ما يجعل عملية اكتشاف هذه الشبكات أمرًا بالغ الصعوبة، وعندما تكون البنية

التنظيمية محكمة، يصبح التنفيذ أكثر انسيابية وفعالية، لأن كل وحدة داخل التنظيم تدرك موقعها ووظيفتها داخل المنظومة. (العبيدي، ٢٠١٧: ١٤٢)

نُجمل هذا المَطلب بالقول : أن المنهجية الإجرامية للعصابات الإرهابية ليست ظاهرة عابرة أو ناتجة عن سلوك فردي منحرف، بل هي بناء مركّب يستند إلى منظومة فكرية وتنظيمية دقيقة تتكامل فيها الأيديولوجيا مع العمل الميداني، فالإرهاب يقوم على بنية تخطيطية تستثمر الأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لإنتاج بيئة حاضنة للنشاط المتطرف، وتوظّف موارد مالية متنوعة تُمكّن التنظيمات من الصمود وإعادة تشكيل هياكلها رغم ما تتعرض له من ضربات أمنية.

المَطلب الثاني

الاستراتيجية الإجرامية للعصابات الإرهابية في تحقيق أهدافها

أولاً– مفهوم الاستراتيجية لدى العصابات الإرهابية

يُقصد بالاستراتيجية لدى العصابات الإرهابية ذلك الإطار الشامل الذي يضم جملة الرؤى والتوجهات التي تعتمدها هذه التنظيمات لتوجيه نشاطها الإجرامي وتحقيق أهدافها السياسية أو العقائدية أو الاقتصادية، وعلى خلاف ما قد يبدو للبعض من أن هذه الجماعات تتحرك بعشوائية أو ردود فعل غير منظمة، فإن التجارب الواقعية تشير إلى أنها تعمل وفق خطط ممنهجة تمتد على مدى طويل، وتستند إلى تحليل دقيق لطبيعة البيئة الاجتماعية والسياسية والأمنية التي تنشط فيها، وترتكز هذه الاستراتيجية على مبدأ رئيس وهو توظيف العنف بطريقة مدروسة لتحقيق أثر يفوق حجم القوة الحقيقية للتنظيم. (طه حسين، ٢٠١٨: ٦٦)

ولا تُختزل الاستراتيجية الإرهابية في مجرد تحديد نوعية العمليات التي ستُنَفَّذ، بل تشمل منظومة أوسع من المسارات مثل طرق التمدد الجغرافي، وآليات بناء شبكات الدعم المحلية والخارجية، وتعزيز الشرعية الزائفة لدى بعض الفئات، وتحديد أولويات العمل خلال مراحل معيّنة، وغالباً ما تتولى القيادة العليا أو المجلس العسكري أو ما يسمى بالهيئة السياسية داخل التنظيم وضع هذه الاستراتيجية، مما يجعلها جزءاً لا يتجزأ من الهيكل التنظيمي ذاته. (الدليمي، ٢٠١٦: ٢٧)

وتستند الجماعات الإرهابية في صياغة استراتيجيتها إلى فهم معمّق للبيئة المحيطة بها، إذ ترصد نقاط الضعف في الأجهزة الأمنية، وتراقب الانقسامات الاجتماعية والتوترات السياسية التي يمكن استثمارها، كما تسعى إلى استغلال أي فراغ في السلطة لتحقيق موطئ قدم. ويُعدّ البعد الإعلامي من العناصر الجوهرية في هذه الاستراتيجية؛ فالتنظيم يدرك أن التأثير النفسي

والرمزي قد يتجاوز بكثير التأثير العسكري المباشر، ولذلك تختار هذه الجماعات أهدافها بعناية فائقة، بحيث تحقق العملية الواحدة صدى إعلاميًا وسياسيًا يعزّز حضور التنظيم ويضخّم صورته أمام أتباعه وخصومه على حد سواء، ولا تتميز الاستراتيجية الإرهابية بالثبات، بل تخضع لمراجعات دورية وفق تغير الظروف، فإذا اشتدت الضغوط الأمنية، قد تلجأ التنظيمات إلى تكتيكات الهجمات الفردية أو الخلايا الصغيرة بدل العمليات الكبرى، أما إذا تمكنت من السيطرة على مساحات جغرافية، فإنها تميل إلى التحول من نمط العمل السري إلى إنشاء هياكل تشبه "سلطة أمر واقع" تمنحها موارد أوسع وقدرة أكبر على التجنيد والتمويل، ومن هنا يمكن القول إن الاستراتيجية الإرهابية عملية ديناميكية تتشكل باستمرار تبعًا لمعطيات الواقع. (سعاد، ٢٠٢٠: ٩٣)

ثانيـاً- تحديد الأهداف كجزء من التخطيط الاستراتيجي

يمثّل تحديد الأهداف أحد المرتكزات الأساسية في التخطيط الاستراتيجي لدى التنظيمات الإرهابية، إذ تُعدّ الأهداف بمثابة البوصلة التي توجه طبيعة النشاط الإجرامي وتحدد مساراته، ولا يتم اختيار هذه الأهداف بصورة اعتباطية، بل يخضع لعملية تقييم دقيقة تأخذ بعين الاعتبار حجم التأثير المتوقع للعملية على مؤسسات الدولة، ومدى انعكاسها على الرأي العام، وقدرتها على جذب الاهتمام الإعلامي واستثمار هذا الاهتمام في خدمة الخطاب العقائدي للتنظيم. (العيساوي، ٢٠١٩: ٤٧)

وتتنوّع الأهداف التي تسعى التنظيمات الإرهابية إلى تحقيقها، فقد تتخذ طابعًا سياسيًا يتمثل في محاولة إسقاط حكومة معينة، أو إضعاف شرعيتها، أو عرقلة مسار سياسي قائم، كما قد تأتي الأهداف بصيغة اقتصادية، من خلال استهداف منشآت حيوية أو مراكز إنتاج، بهدف إلحاق ضرر مباشر بالدولة وإظهار عجزها عن حماية بنيتها التحتية. وفي أحيان أخرى، تتجه التنظيمات نحو أهداف رمزية، مثل مهاجمة أماكن دينية أو شخصيات بارزة، وذلك لما تحمله هذه الأهداف من تأثير نفسي واسع يعزز حالة الرعب ويؤثر في استقرار المجتمع، وتعتمد العصابات الإرهابية في تحديد أهدافها على قاعدة "العائد مقابل التكلفة"، بحيث تسعى إلى تنفيذ عمليات قد تبدو بسيطة من حيث الموارد المطلوبة، لكنها قادرة على إحداث صدى كبير نظرًا لحساسية موقع التنفيذ أو طبيعة الهدف، ولهذا تلجأ بعض التنظيمات إلى استهداف المناطق المكتظة بالسكان أو المنشآت الحساسة بهدف تحقيق أكبر قدر من التأثير من خلال عملية واحدة. (الهجري، ٢٠١٥: ١٢٠)

كما يدخل في إطار تحديد الأهداف استغلال الانقسامات الداخلية داخل المجتمع، فالتنظيمات التي تنشط في بيئات تعاني من توترات طائفية أو عرقية، قد توجه عملياتها نحو أطراف معينة بهدف تفجير صراعات داخلية، وهو ما يساهم في زعزعة الاستقرار وإضعاف مؤسسات الدولة، ويفتح المجال أمام التنظيم لمحاولة الظهور كقوة قادرة على "الرد" أو "الحماية"، وتتبنى هذه التنظيمات أيضًا ما يمكن تسميته بالأهداف المتدرجة أو متعددة المستويات؛ فهي تضع أهدافًا قصيرة المدى مثل إشغال القوات الأمنية وتشتيت جهودها، بالتوازي مع أهداف بعيدة المدى مثل التمدد territorial أو السيطرة على مجتمعات محلية أو اكتساب شرعية ميدانية، ويمنح هذا النمط من التخطيط التنظيم قدرة على إدارة مواجهاته بطريقة متواصلة، وبناء رؤية استراتيجية واضحة لتحركاته المستقبلية. (الشتوي، ٢٠١٧: ٣٨)

ثالثـــاً – الأساليب العملياتية والتكتيكية

تتسم الأساليب العملياتية والتكتيكية التي تعتمدها العصابات الإرهابية بقدر كبير من التنوع والقدرة على التكيّف، وهو ما يجعلها أكثر صعوبة في الرصد والمواجهة، فهذه الأساليب لا تُبنى على نمط ثابت أو إطار صارم، بل تتغيّر تبعًا لمستوى الضغط الأمني وطبيعة البيئة الجغرافية، وكذلك تبعًا لخبرة التنظيم وإمكاناته المتاحة، ويُعد هذا التنوّع أحد أهم عوامل القوة لدى التنظيمات الإرهابية، إذ يمكّنها من الانتقال السريع بين شكل وآخر من أشكال العمل المسلح دون أن تفقد قدرتها على الاستمرار أو التأثير. (سرحان، ٢٠١٧: ٤٥)

وتبرز **حرب العصابات** بوصفها أحد أبرز الأساليب التي تلجأ إليها هذه التنظيمات، نظرًا لما توفره من قدرة على المبادأة وفرض الإيقاع العملياتي على الخصم، وتقوم هذه الحرب على تنفيذ هجمات خاطفة ومحدودة، تستهدف في الغالب دوريات أمنية أو مواقع عسكرية أو منشآت حيوية، قبل الانسحاب السريع إلى مناطق يصعب تتبع المهاجمين فيها، وتُختار مواقع العمليات بعناية، بحيث تتيح للتنظيم أفضلية تكتيكية، مثل المناطق الجبلية الوعرة، أو الأحياء ذات الكثافة السكانية العالية، أو القرى البعيدة عن مراكز الدولة، و بذلك تهدف هذه الهجمات إلى إنهاك القوات الحكومية تدريجيًا بدل المواجهة المباشرة، وتقليص الاحتكاك المباشر إلى أدنى حد ممكن. (شهاب الدين، ٢٠١٨: ١١٢)

كما تشكّل **العمليات الانتحارية** أحد أكثر الأساليب إثارة للقلق لما تحققه من تأثيرات مدمرة مقارنة بتكلفتها البسيطة، وتتداخل في هذا النوع من العمليات الأبعاد العقائدية مع الضرورات التكتيكية، إذ توظّف التنظيمات الإرهابية هذه العمليات لإظهار قدرتها على تجاوز التحصينات الأمنية الأكثر صرامة، ولإيصال رسائل نفسية وسياسية قوية إلى خصومها، ويُلاحظ

أن العديد من هذه التنظيمات تستخدم **التفجيرات المركّبة** التي تعتمد على تنفيذ تفجير أولي لجذب عناصر الأمن أو حشود المدنيين، ثم اتباعه بتفجير ثانٍ يستهدف المستجيبين، فمن شأن هذا التكتيك أن يعظّم عدد الضحايا ويُربك القوات الأمنية، ما يعكس درجة عالية من التنظيم والتخطيط.

وفي السنوات الأخيرة، توسّع نطاق العمل الإرهابي ليشمل **الهجمات الإلكترونية** التي تُستخدم لتعطيل خدمات حكومية، أو اختراق قواعد بيانات، أو نشر رسائل تهديدية ودعائية، حيثُ يمثّل هذا النوع من الهجمات انتقالًا إلى فضاء عملياتي جديد، يتيح للتنظيمات تنفيذ تأثيرات واسعة من دون الحاجة إلى التورط في مواجهات ميدانية، كما يمنحها هذا المجال قدرة على تجاوز القيود الأمنية التقليدية، والاستفادة من الفضاء الرقمي كمنصة للتخريب والتأثير النفسي. (أمين، ٢٠١٦: ٥٨)

أما على المستوى التكتيكي، فتوظّف التنظيمات مجموعة من الوسائل التي تُعد مكملة لعملياتها القتالية وغير القتالية، من بينها استخدام **الدراجات النارية** لتسهيل الهروب السريع في المناطق الضيقة أو المزدحمة، وتغيير مسارات التحرك بشكل مستمر لتفادي الرصد، والاعتماد على **الاتصالات المشفّرة** التي تُصعّب عملية الاختراق الأمني، كما تلجأ إلى استخدام الوثائق المزوّرة، أو **التنكر بزي قوات الأمن أو المدنيين**، من أجل التمويه وتجاوز نقاط التفتيش، أو تنفيذ عمليات اغتيال وخطف دون إثارة الشبهات، وتُعد هذه التكتيكات جزءًا أساسيًا من نجاح العمليات الإرهابية، إذ لا تقتصر أهميتها على إنها تمهد للعملية أو تسهّل تنفيذها، بل لأنها تمنح المنفذين فرصة حقيقية للهرب وإعادة تنظيم الصفوف، الأمر الذي يحمل أثرًا مباشرًا على قدرة التنظيم على الاستمرار. (العناني، ٢٠١٨: ٩٦)

رابعـــاً – التكيّف مع البيئة الأمنية والسياسية

تُعد قدرة العصابات الإرهابية على التكيّف مع المتغيرات الأمنية والسياسية إحدى أهم السمات التي تمكّنها من الاستمرار رغم الضربات المتتالية التي تتعرض لها، فهذا التكيف لا يأتي كردّ فعل مباشر أو عفوي، بل يمثل عملية واعية ومنهجية تهدف إلى إعادة ضبط التنظيم داخليًا وخارجيًا بحيث يتلاءم مع مستوى الضغوط التي تحيط به، ومن خلال هذا الأسلوب، تستطيع التنظيمات الإجرامية الحفاظ على فاعليتها الميدانية ومراكمة نفوذها حتى في أشد الظروف تعقيدًا. (عماد، ٢٠١٥: ٧٣)

إنَّ البيئة الأمنية عندما تكون رخوة أو تعاني من ضعف السيطرة الحكومية، تتجه التنظيمات إلى توسيع نشاطها العلني، وتكثيف تحركاتها الميدانية، بل وقد تسعى إلى بسط

السيطرة على مناطق جغرافية واسعة تُستغل لاحقًا كمراكز للتجنيد والتدريب والتمويل، وعلى العكس، في البيئات التي تشهد رقابة أمنية صارمة، تلجأ هذه التنظيمات إلى نمط أكثر سرية يقوم على **الخلايا الصغيرة المستقلة** أو **الهجمات الفردية منخفضة التوقيع**، وهي أساليب تجعل عملية الكشف والاختراق الأمني أكثر صعوبة، ويعكس هذا التحوّل قدرة التنظيم على قراءة البيئة المحيطة وإعادة مواءمة خططه بما يضمن له الحد الأدنى من الفاعلية، وعندما يتعرّض التنظيم لضربة أمنية قوية، غالبًا ما يشرع في **إعادة هيكلة داخلية** تهدف إلى إعادة توزيع الأدوار والمسؤوليات، وتفكيك الوحدات الكبرى إلى مجموعات صغيرة لا تربطها علاقات مباشرة تقلل من مخاطر الاختراق، كما يُعاد بناء شبكات الدعم اللوجستي على أسس أكثر سرية وتعقيدًا، مع تعزيز الإجراءات الأمنية الداخلية ورفع درجة العزلة بين العناصر، فيسمح هذا النوع من التكيف التنظيمي للتنظيمات الإرهابية بالاستمرار حتى في حال فقدان قادتها أو تشتت قطاعات واسعة من أجهزتها. (كامل السيد، ٢٠١٩: ٢٢)

أما على الصعيد السياسي، فتُظهر العصابات الإرهابية قدرة عالية على استثمار **التحولات الداخلية** في الدول، سواء كانت احتجاجات شعبية، صراعات حزبية، أو حالات عدم استقرار مؤسسي، ففي مثل هذه الظروف، تنشغل الدولة بإدارة الأزمة، ما يتيح للتنظيمات هامش حركة أوسع لتنفيذ عمليات نوعية أو إعادة بناء نفوذها في مناطق مهمّشة، ومن الناحية النفسية والسياسية، تسعى هذه التنظيمات إلى تصوير نفسها كفاعل بديل في ظل ضعف الدولة، وهو خطاب يجد صداه في البيئات المتضررة أو المهمّشة، وكما يتجلى التكيف في علاقة التنظيم بالرأي العام، فعندما تواجه رفضًا شعبيًا واسعًا، تعتمد على **سياسات الترهيب** لفرض وجودها ومنع السكان من التعاون مع الدولة.

أما في المناطق التي تُظهر تعاطفًا أو حيادًا تجاهها، فإنها تتبنى خطابًا أقل حدّة، وتعمل على تقديم خدمات محدودة—كالحماية أو توزيع الموارد—لتكريس صورة "الجهة القادرة على الإدارة"، ولو بشكل مؤقت، وبذلك يتحول التنظيم من فاعل تخريبي بحت إلى فاعل يسعى إلى خلق قاعدة اجتماعية تقلل من مقاومته أو تبرر وجوده. (عارف، ٢٠١٧: ١٣١)

نستطيع إجمال هذا المَطلب بالقول : أن التنظيمات الإرهابية تمتلك قدرة استثنائية على التكيّف مع التحولات المحلية والإقليمية، سواء من خلال إعادة هيكلة خلاياها أو تطوير خطابها الإعلامي أو استغلال التكنولوجيا الحديثة في التجنيد والتحريض، حيثُ أن مواجهة الإرهاب لا يمكن أن تُختزل في البعد الأمني، رغم أهميته المركزية، بل تتطلب رؤية شاملة

تُعالج العوامل العميقة التي تغذي التطرف، وتعمل في الوقت نفسه على بناء جبهة فكرية ومجتمعية قادرة على تفكيك خطاب العنف وتجفيف حواضنه.

المَطلب الثالث

الأيديولوجيا كإطار موجِّه للسلوك الإجرامي الإرهابي

أولاً- مفهوم الأيديولوجيا الإرهابية ودورها في إنتاج التطرف

تشكل الأيديولوجيا الإرهابية الإطار الفكري الذي ترتكز عليه التنظيمات المتطرفة في تبرير ممارساتها العنيفة وإضفاء غطاء "شرعي" على أفعالها، فهي ليست منظومة فكرية مكتملة أو أصيلة بقدر ما هي بناء مشوّه يجمع بين تأويلات دينية مغلوطة، وقراءات سياسية انتقائية، ورؤية عدائية للعالم، ومن خلال هذا الخليط المركّب، تعمل الجماعات الإرهابية على صياغة تصور ثنائي حاد يقوم على الفصل بين "نحن" و"هم"، بما يُنتج حالة من الاستقطاب الفكري والأخلاقي تجعل العنف يبدو خيارًا مشروعًا في مواجهة الآخر المختلف أو "العدو" المفترض. (المسيري، ٢٠١٠: ٨٧)

وتعد هذه الأيديولوجيا المحرك الأول لعملية التطرف، إذ لا يبدأ الانزلاق نحو العنف بالسلاح، بل بالفكرة التي تُزرع في ذهن الفرد وتعيد تشكيل وعيه ونظرته للواقع. ففي الخطاب الإرهابي، يُصوَّر الفرد على أنه جزء من جماعة تتعرض للظلم والاستهداف، ويُدفع تدريجيًا إلى تبني رؤية مؤامراتية للعالم تشكك في مؤسسات الدولة والمجتمع، وتُعزز الشعور بالعزلة والانفصال النفسي، وتستغل التنظيمات هذا التفكك الشعوري لتقديم الأيديولوجيا بوصفها "معنى بديلًا" للحياة؛ معنى يقوم على البطولة والانتقام وتخييل الذات في صورة المدافع عن قضية كبرى، الأمر الذي يمنح الفرد المتطرف شعورًا وهميًا بالقوة والانتماء والغاية، ويدفعه إلى الاستعداد لاستخدام العنف كوسيلة لتحقيق هذا الدور المتخيَّل. (غلاب، ٢٠٢٠: ١٤٩)

ولا تقتصر الأيديولوجيا الإرهابية على تبرير العنف، بل تُعيد إنتاجه وترسيخه، فهي تقدم تصورًا للعالم يُختزل في صراع دائم، وتضع الفرد أمام قناعة بأن القوة المسلحة هي الوسيلة الوحيدة لاستعادة "الحقوق" أو فرض "العدالة"، وكلما ازدادت الأيديولوجيا رسوخًا وهيمنة على الوعي، ازداد الاستعداد لتنفيذ الأوامر دون مساءلة أو تفكير نقدي، ولهذا تولي التنظيمات أهمية كبيرة لتعزيز هذه الأيديولوجيا عبر منظومة متكاملة تشمل الدروس والخطب، والمواد المطبوعة، والدعاية الرقمية، بما يضمن انتقال الفرد من مرحلة التعاطف إلى مرحلة الاقتناع ثم الانخراط العملي. (الصلابي، ٢٠١٦: ٣٤)

ومما يُلاحظ أن الأيديولوجيا الإرهابية ليست منظومة جامدة، بل تخضع لعملية تعديل مستمر بما يخدم بقاء التنظيم وقدرته على التجذّر في البيئات المختلفة، ففي السياقات التي يغلب عليها الحس الديني، يشتد حضور الخطاب الديني في خطاب التنظيم؛ وفي البيئات التي تهيمن عليها التوترات السياسية أو الأزمات الاقتصادية، يُعاد صياغة الأيديولوجيا لتبدو أقرب إلى خطاب إصلاحي أو ثوري يستثمر المظلومية المحلية، فهذا التكيّف المستمر يُتيح للأيديولوجيا الإرهابية أن تحافظ على جاذبيتها لدى فئات مختلفة من الأفراد، ويجعلها قادرة على العمل ضمن سياقات اجتماعية وسياسية متباينة، دون أن تفقد جوهرها القائم على العنف والإقصاء. (زغلول، ٢٠١٨: ٢٠٣)

ثانيـاً– الخطاب الديني والسياسي كوسيلة لتبرير العنف

توظّف العصابات الإرهابية الخطاب الديني باعتباره إحدى أكثر الأدوات تأثيرًا في تشكيل الوعي وتوجيه السلوك، إذ تمنح من خلاله طابعًا مقدّسًا لأفعالها الإجرامية، وتحوّل العنف من ممارسة مرفوضة اجتماعيًا وأخلاقيًا إلى واجب ديني في نظر أتباعها. ويتم ذلك عبر انتزاع نصوص دينية من سياقها التاريخي والفقهي، وإعادة تأويلها بما ينسجم مع الأهداف العملياتية للتنظيم، وبهذا تتحول الجماعة إلى جهة تدّعي احتكار "الفهم الصحيح" للدين، وتقدّم نفسها بوصفها الحامي الوحيد للعقيدة أو المنفّذ الشرعي لأحكام الشريعة، رغم أن خطابها يتناقض جذريًا مع القيم الأصلية للدين ومبادئه الإنسانية، ويقوم هذا الخطاب على جملة من الركائز الفكرية التي تُسهم في بناء إطار شامل يبرّر العنف ويدفع الأفراد إلى الانخراط فيه، من أبرزها: (خلف، ٢٠٢٠: ٥٧)

١. التكفير الشامل للمجتمع أو الدولة أو الجماعات المخالفة، بما يخلق بيئة ذهنية تُسقط عن الآخر حقه في الحياة وتُضفي مشروعية مزعومة على استهدافه.
٢. اختزال العالم في ثنائية صدامية بين الحق والباطل، حيث يُصوّر التنظيم نفسه ممثلًا للحق المطلق، بينما تُصنَّف بقية الأطراف ضمن محور العداء أو الانحراف.
٣. تحريف مفهوم الجهاد عبر نقله من إطار الدفاع المشروع إلى ممارسة هجومية عدوانية لا تراعي ضوابط دينية أو أخلاقية، مما يُعطي للعنف طابعًا دينيًا زائفًا.
٤. الاستثمار في الوعود الأخروية كالشهادة والفوز بالجنة، بهدف استغلال الأفراد الذين يعانون من الإحباط واليأس أو يبحثون عن معنى وجودي أو خلاص شخصي.

إنَّ الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، إذ تدرك التنظيمات الإرهابية أن الخطاب الديني وحده قد لا يكون كافيًا لتعبئة الفئات الواسعة، لذلك تلجأ إلى **الخطاب السياسي** بوصفه وسيطًا إضافيًا

لتمرير أهدافها، ففي كثير من الحالات، تقدّم التنظيمات نفسها كحركة مقاومة أو مشروع تحرّر سياسي، وتعرض عملياتها على أنها ردّ فعل على ظلم الدولة أو التهميش الاجتماعي أو التدخلات الأجنبية، ويُستخدم هذا الخطاب لاستقطاب الفئات المحبطة التي تعيش في بيئات تعاني من ضعف التنمية أو الصراعات الطائفية أو غياب العدالة، حيث يصبح التنظيم، في نظر بعض الأفراد، بديلاً عن الدولة أو محاولةً لردّ الظلم. (أمزيان، ٢٠١٩: ١٤١)

ويعمل الخطاب السياسي أيضًا على استثمار الأزمات الاقتصادية والبطالة والفساد الإداري لخلق سردية مفادها أن التنظيم يمتلك القدرة على إقامة نظام عادل أو استعادة "الحقوق المسلوبة"، ويؤدي المزج بين الديني والسياسي إلى إنتاج خطاب مركّب أكثر تأثيرًا، لأنه يقدّم نفسه كحل شامل لمشكلات المجتمع، جامعًا بين الشرعية الدينية المزعومة والوعود السياسية، رغم أن تلك التنظيمات تمثل في الواقع أحد أبرز أسباب تفكك المجتمعات وزيادة معاناتها. (العبيدي، ٢٠١٧: ٩٢)

ثالثـــاً- استغلال القضايا الاجتماعية والسياسية في صناعة الأيديولوجيا

تعمل العصابات الإرهابية على بناء أيديولوجيتها من خلال توظيف القضايا الاجتماعية والسياسية التي تشكّل نقاط هشاشة داخل بنية المجتمع، فالأيديولوجيا التي تعتمدها هذه التنظيمات لا تنشأ بمعزل عن الواقع، بل تستمد قوتها من مشاعر السخط والإحباط المنتشرة بين بعض الفئات، سواء كانت ناتجة عن الفقر، تفاقم التفاوت الاجتماعي، سوء الخدمات، التمييز، أو غياب العدالة، ومن خلال تضخيم هذه القضايا وإعادة تأطيرها بطريقة تخدم مصالحها، تسعى التنظيمات إلى إقناع الأفراد بأن الانضمام إليها هو السبيل الوحيد لتحقيق الكرامة والدفاع عن الحقوق. (طه حسين، ٢٠١٨: ١١٨)

تعتمد الجماعات الإرهابية في خطابها على أسلوب انتقائي قائم على اقتطاع الوقائع من سياقها وتضخيمها إلى مستوى "مظلومية كبرى"، فإذا كان المجتمع يشهد توترات طائفية، تعمل الجماعات على تصويرها كتهديد وجودي يستهدف القضاء على هوية جماعة بعينها، وفي حال تفاقمت الأزمات الاقتصادية، فإنها تقدم هذه الظروف على أنها نتيجة مؤامرات خارجية أو سياسات متعمدة لإذلال الشعب، ما يساهم في تأجيج مشاعر الغضب ويخلق بيئة نفسيّة خصبة لتقبّل خطابها المتطرف. (الدليمي، ٢٠١٦: ٥١)

إنَّ التنظيمات لا تكتفي باستغلال القضايا العامة، بل تستثمر أيضًا في الشعور بالعزلة الذي قد يعيشه بعض الأفراد أو الفئات المهمشة، سواء كانت أقليات دينية أو عرقية أو حتى مجموعات من الشباب الذين يعانون من فقدان الانتماء، وهنا تعمل التنظيمات على بناء خطاب

يوحي بأنها تمثل "الملاذ الآمن" أو "المدافع الحقيقي" عن هؤلاء المهمشين، رغم أن تجارب الواقع تُظهر أنها تزيد من معاناتهم وتعرضهم لمخاطر أكبر, وكما تلعب الأحداث السياسية الكبرى دورًا حاسمًا في صناعة الأيديولوجيا الإرهابية، فالحروب، الانقلابات، النزاعات الأهلية، والصراعات الإقليمية تُعد بيئة مثالية لتعزيز نفوذ التنظيمات، إذ تسعى هذه الأخيرة إلى الظهور كقوة قادرة على ملء الفراغ الناجم عن انهيار مؤسسات الدولة أو تراجع هيبتها، وفي ظل غياب الأمن وتراجع الثقة بالسلطات الرسمية، تجد التنظيمات فرصة لتصوير نفسها كبديل شرعي يمتلك القدرة على فرض النظام أو حماية المجتمع، وهو ما يسهم في استقطاب الأفراد الذين يشعرون بالخيبة أو الانفصال عن الدولة. (سعاد، ٢٠٢٠: ١٦٠)

رابعـــاً- دور الأيديولوجيا في التجنيد والتحريض العابر للحدود

تُعدّ الأيديولوجيا الإرهابية من أهم الأدوات التي تمكّن التنظيمات المتطرفة من توسيع نطاق تأثيرها وتجاوز حدودها الجغرافية والسياسية، فمن خلالها تتحول الجماعة من كيان محلي محدود الفاعلية إلى حركة عابرة للحدود قادرة على استقطاب أفراد من بيئات مختلفة ثقافيًا واجتماعيًا. وتُسهم الأيديولوجيا في خلق منظومة فكرية مغلقة تمنح التنظيم القدرة على الوصول إلى أفراد لا تربطهم أي علاقة مباشرة بسياقه المحلي، لكنها تُقنعهم بأنهم جزء من مشروع عالمي يتجاوز الانتماءات التقليدية. (العيساوي، ٢٠١٩: ٧٤)

وتقوم الأيديولوجيا المتطرفة على إنتاج "هوية بديلة" تتفوق على الهوية الوطنية وتُعيد تشكيل ولاءات الأفراد، فحين يشعر الفرد بأنه ينتمي إلى "جماعة أممية" تتعرض للاضطهاد أو التهديد، يصبح مستعدًا للتخلي عن روابطه الاجتماعية والسياسية والانصهار في هوية التنظيم، ولهذا نجد أن العديد من العناصر التي انضمت إلى الجماعات الإرهابية لم يكن لها أي اتصال سابق بالمكان أو المجتمع الذي ينشط فيه التنظيم، بل جذبها الخطاب الفكري الذي يمنحها شعورًا بالانتماء والغاية. (الشتوي، ٢٠١٧: ٦٧)

وتستغل الجماعات الإرهابية منصات التواصل الاجتماعي لنشر أيديولوجيتها على نطاق واسع وعابر للحدود، حيث تُنتج خطابًا موجهًا بعناية لفئات معينة مثل الشباب المحبط، الفئات المهمشة، أو الأفراد الذين يعانون من أزمات نفسية أو فكرية. وتُقدّم هذه الرسائل في قوالب بصرية ودرامية مكثفة تخلق انطباعًا بأن الانضمام إلى التنظيم يمثل قيمة عليا أو مخرجًا وجوديًا من الأزمات الشخصية والاجتماعية، ولا يقتصر الدور الأيديولوجي على حدود التجنيد، بل يمتد إلى التحريض على العنف والعمليات الانتحارية، بل وعلى تصنيع "الإرهابي المنفرد" الذي يتبنى الفكرة ويمارس الفعل دون أن تكون له صلة تنظيمية مباشرة، هذا النوع من التجنيد العابر للحدود

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2026 Volume :16 Issue : 3
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

يُحوّل الأيديولوجيا المتطرفة إلى ما يشبه "فيروسًا فكريًا" ينتشر عبر الإنترنت والفضاء الإعلامي، فيتجاوز الرقابة التقليدية ويُصعب على الدول احتواؤه باعتباره تهديدًا فكريًا ودوليًا متحركًا، وليس مجرد تنظيم محلي يمكن القضاء عليه بالوسائل الأمنية. (الهجري، ٢٠١٥: ١٨٨)

نهايةً نُخلص إلى إنَ الأيديولوجيا المتطرفة تمثل البنية العميقة التي تُغذي السلوك العنيف وتشرعن استخدام القوة ضد الدولة والمجتمع، إذ تمنح العناصر شعورًا زائفًا بالبطولة والانتماء، وتُحوّل العنف إلى واجب ديني أو رسالة سياسية، و بمعنى اوضح أن الأيديولوجيا تُعدّ الإطار الأعمق الذي يوجّه سلوك العصابات الإرهابية، فهي تمنح الشرعية لجرائمها وتُغذّي قدرتها على التجنيد والتعبئة، مما يجعل مواجهتها فكرياً ضرورة لا تقل أهمية عن المواجهة الأمنية.

الخاتمـــة

في ضوء ما تم تحليله من نماذج وأساليب، يمكن استخلاص النتائج و المُقترحات التي الغرض منها التأكيد لا التكرار و كالآتي:

أولاً– النتائـج

١. تعتمد الجماعات الإرهابية على هياكل عمل لا مركزية تقوم على خلايا صغيرة مترابطة، ما يمنحها قدرة عالية على المناورة ويجعل تفكيكها عملية معقدة.
٢. ترتكز قدرة الجماعات على الاستمرار إلى موارد مالية غير مشروعة تشمل الجريمة المنظمة والابتزاز والاتجار غير القانوني، فضلًا عن الدعم الخارجي المباشر وغير المباشر.
٣. تستند التنظيمات في توسعها إلى خطاب أيديولوجي موجَّه يستغل الإحباط الاجتماعي والاقتصادي والنفسي لدى الأفراد، ويعيد تشكيل وعيهم بطريقة تُسهِّل جذبهم ودمجهم داخل البنية التنظيمية.
٤. النشاط الإرهابي يقوم على منهجية عمل مدروسة تربط بين الأهداف والقدرات والموارد، بعيدًا عن العشوائية التي قد تبدو في ظاهر المشهد.
٥. تسعى التنظيمات إلى زعزعة الاستقرار السياسي وإضعاف ثقة المواطنين بالدولة وإرباك مؤسساتها، ما يجعل الإرهاب عملية سياسية بقدر ما هو فعل عنيف.
٦. تمثل الأيديولوجيا المتطرفة الإطار المرجعي الذي يمنح الشرعية ويحدد "العدو" ويُضفي القداسة على العنف، مما يجعلها أخطر أدوات التنظيمات وأكثرها تأثيرًا.

ثانيـاً– المُقترحات

١. ضرورة تطوير برامج توعوية تُخاطب الشباب وتعمل على تفكيك الخطاب المتطرف، وتقديم سرديات بديلة تقوم على الاعتدال والاندماج المجتمعي.
٢. يوصى بتطوير أدوات تتبع التحويلات المشبوهة وزيادة التنسيق مع المؤسسات المالية الدولية لتجفيف مصادر الدعم المالي للإرهاب.
٣. تصميم مبادرات وطنية تُعنى بإعادة إدماج الأفراد الذين انخرطوا في الفكر المتطرف، بهدف الحد من إعادة تجنيدهم وضمان استقرارهم الاجتماعي.
٤. بالنظر للطبيعة العابرة للحدود للجماعات الإرهابية، يصبح تعزيز تبادل المعلومات والتنسيق العملياتي بين الدول ضرورة استراتيجية.
٥. تحسين التعليم، توفير فرص العمل، وتقوية شبكات الحماية الاجتماعية تمثل عناصر مركزية في بناء مجتمع مقاوم للتطرف.
٦. دعم إطار قانوني متكامل يجرّم كل أشكال الدعم، سواء المادي أو التقني أو الإعلامي، للتنظيمات الإرهابية.

ختاماً نذهب للقول إنَّ مواجهة العصابات الإرهابية لا يمكن أن يتحقق بإجراءات جزئية أو أمنية فقط، بل تتطلب منهجاً شاملاً يشمل تفكيك البنية الفكرية والاقتصادية والاجتماعية التي تقوم عليها، ويظل الاستثمار في الوعي، والتعليم وبناء خطاب بديل هو أقوى سلاح في مواجهة التطرف الذي يتغذى على الجهلِ والتهميش وسوء الفهم.

و آخر دعوانا إنَّ الحمـدُ لله رب العالمين ...

قائمـة المَصادر و المَراجع

أولاً – الكُتب العلمية و القانونيـة

١. أمين، حسن .(2016) .تنظيم داعش: الجذور الفكرية والبنية التنظيمية .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٢. سرحان، عبد العزيز .(2017) .الإرهاب: المفهوم، الأسباب، المواجهة .القاهرة: دار النهضة العربية.
٣. شهاب الدين، محمد .(2018) .الجريمة المنظمة والإرهاب الدولي .القاهرة: دار الجامعة الجديدة.

٤. الصلابي، علي .(2016) .داعش: النشأة والتطور .بيروت: دار المعرفة.
٥. عارف، نصر محمد .(2017) .ظاهرة العنف والتطرف الديني .أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات.
٦. عماد، عبد الغني .(2015) .السلفية الجهادية: من أفغانستان إلى داعش .بيروت: المركز العربي للنشر.
٧. العناني، خليل .(2018) .الإسلاميون والعنف السياسي .بيروت: الشبكة العربية للأبحاث.
٨. غلاب، عبد الكريم .(2020) .التحولات في الحركات الجهادية .الرباط: المركز المغربي للدراسات.
٩. كامل السيد، مصطفى، وآخرون .(2019) .الإرهاب السياسي في الشرق الأوسط .القاهرة: المركز القومي للبحوث.
١٠. المسيري، عبد الوهاب .(2010) .الإيديولوجيا والعنف: دراسات في الفكر السياسي والديني (ط. ٢). القاهرة: دار الفكر العربي.

ثانيـــاً– المقالات العلمية

١. أمزيان، محمد. (٢٠١٩). منهجية التجنيد في التنظيمات المتطرفة .المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية.
٢. خلف، محمود. (٢٠٢٠). التنظيمات الإرهابية كجريمة منظمة .مجلة العلوم الجنائية.
٣. الدليمي، عبد الحميد. (٢٠١٦). الدعاية والإعلام في المنظمات الإرهابية .مجلة الإعلام الأمني العراقية.
٤. زغلول، أحمد ماهر. (٢٠١٨). السمات الإجرامية للتنظيمات الإرهابية .مجلة البحوث الأمنية (عدد خاص).
٥. سعاد، علي. (٢٠٢٠). الأبعاد النفسية للمتطرفين .مجلة علم النفس العربية.
٦. الشتوي، ناصر. (٢٠١٧). العنف السياسي في الجماعات الإسلامية .مجلة العلوم السياسية (السعودية).
٧. طه حسين، وآخرون. (٢٠١٨). التمويل غير المشروع والإرهاب .مجلة الاقتصاد العربي.
٨. العبيدي، سهيل. (٢٠١٧). البنية الهرمية لتنظيم داعش .مجلة البحوث العسكرية العراقية.
٩. العيساوي، سعيد. (٢٠١٩). الإيديولوجيا الدينية في الجماعات الإرهابية .مجلة التراث والحداثة.
١٠. الهجري، وضاح. (٢٠١٥). شبكات التنظيم الدولي للقاعدة .مجلة شؤون عربية.

List of Sources and References
First - Scientific and Legal Books
1. Amin, Hassan. (2016). ISIS: Intellectual Roots and Organizational Structure. Beirut: Center for Arab Unity Studies.
2. Sarhan, Abdul Aziz. (2017). Terrorism: Concept, Causes, and Confrontation. Cairo: Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
3. Shihab Al-Din, Muhammad. (2018). Organized Crime and International Terrorism. Cairo: Dar Al-Jami'a Al-Jadeeda.
4. Al-Sallabi, Ali. (2016). ISIS: Origins and Development. Beirut: Dar Al-Ma'rifa.
5. Aref, Nasr Muhammad. (2017). The Phenomenon of Violence and Religious Extremism. Abu Dhabi: Emirates Center for Strategic Studies and Research.
6. Imad, Abdul Ghani. (2015). Salafist Jihadism: From Afghanistan to ISIS. Beirut: Arab Center for Publishing.
7. Al-Anani, Khalil. (2018). Islamists and Political Violence. Beirut: Arab Network for Research and Policy Studies.
8. Ghallab, Abdelkrim. (2020). Transformations in Jihadist Movements. Rabat: Moroccan Center for Studies.
9. Kamel El-Sayed, Mustafa, et al. (2019). Political Terrorism in the Middle East. Cairo: National Research Center.
10. El-Messiri, Abdelwahab. (2010). Ideology and Violence: Studies in Political and Religious Thought (2nd ed.). Cairo: Arab Thought House.
Second - Scientific Articles
1. Amziane, Mohamed. (2019). Recruitment Methodology in Extremist Organizations. Moroccan Journal of Social Sciences.
2. Khalaf, Mahmoud. (2020). Terrorist Organizations as Organized Crime. Journal of Criminal Sciences.
3. Al-Dulaimi, Abdelhamid. (2016). Propaganda and Media in Terrorist Organizations. Iraqi Journal of Security Media.
4. Zaghloul, Ahmed Maher. (2018). The Criminal Characteristics of Terrorist Organizations. Journal of Security Research (Special Issue).
5. Suad, Ali. (2020). The Psychological Dimensions of Extremists. Arab Journal of Psychology.
6. Al-Shatwi, Nasser. (2017). Political Violence in Islamic Groups. Journal of Political Science (Saudi Arabia).
7. Taha Hussein, et al. (2018). Illicit Finance and Terrorism. Arab Economics Journal.

8. Al-Ubaidi, Suhail. (2017). The Hierarchical Structure of ISIS. Iraqi Military Research Journal.
9. Al-Issawi, Saeed. (2019). Religious Ideology in Terrorist Groups. Heritage and Modernity Journal.
10. Al-Hijri, Waddah. (2015). Al-Qaeda's International Networks. Arab Affairs **Journal.**